Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢ ــ تراسل الحواس

مادام موضوع النفس ، والبحث عن الحقيقة داخلها أو خارجها هو مااستحوذ على الشاعر من موضوعات ، ونظرا لما يتصف به هذا الموضوع من تعقد الحالات الفكرية والعاطفية ، بحيث يصبح الشاعر فعالية مبدعة تصهر الموضوع والنفس عن طريق الحسى والخيال ، فإن مثل هذه الحالة تتأبى على الألفاظ ذات الدلالات الوضعية ، هذا فضلا عن عدم إمكانية تبسيطها ، فليس ثمة أمام الشاعر ــ إذن ــ غير أن يلجأ إلى صنع « لغة فى اللغة » « ومادامت اللغة فى أصلها مجرد رموز تثير فى نفوسنا إحساسا وخواطر وانفعالات يرمز لكل منها لفظ معين ، ومادام الهدف النهائى من الأدب والشعر هو نقل تجربة بشرية أو على الأصح أثر هذه التجربة من نفس إلى نفس ، فإنه يصبح من الحكمة بل من الواجب على الأديب أو الشاعر الذى يريد أن يستنفذ كل مافى نفسه وينقله كاملا إلى نفس الغير ، أن ينقل ألفاظا من مجال حسى معين إلى مجال آخر إذا كان فى هذا النقل مايعينه على هدفه وهو نقل الأثر النفسى إلى الغير »(١)

والأصل فى هذه اللغة هو المصدر الواحد النابع من وحدة الوجود ، التى تعنى وحدة الجوهر مهما اختلفت المادة وتعددت مظاهرها « فجميع الألوان تحويل من النور ، وكل عطر مزيج من الهواء والضياء والتعابير الأربعة التى تربط المادة والإنسانية أى الصوت ، واللون ، والعطر ، والشكل ، ترجع كلها إلى أصل واحد »(٢) ولعل تلك المشابهة والاتصال الوثيق بين تلك العناصر راجع إلى أن كل مافى الأرض مرتبط بأسبابه السماوية ، بمعنى أن الأرض تحمل معانى السماء ، أو أن السماء هى التى تخلع على الأرض وأشيائها بعض معانيها ، فلا غرو ــ إذن ــ فى أن تتشابه الحالات النفسية التى تبلغنا عن طريق الحواس المختلفة ، مادامت ترجع فى أصلها إلى مصدر واحد ، بل إن تجاوبها بهذا الشكل يجعلها قادرة على استيعاب الحالات النفسية المعقدة للشاعر ، والإفصاح عن مضمونها الحيوى الغامض فى صورة الإحساس به .

(١) الدكتور مندور ــ الشعر المصرى بعد شوقى ــ الحلقة الثالثة ص ٣٣

(٢) الدكتور أنطون غطاس ــ الرمزية والأدب العربى الحديث ــ دار الكشاف ــ بيروت لبنان ١٩٤٩م ص ٩٣